The Open European Journal of Social Science and Education (OEJSSE)
(E-ISSN: 3062-3456)
المجلة الأوروبية المفتوحة للعلوم الاجتماعية والتربوية
Journal homepage: https://easdjournals.com/index.php/oejsse/index

الأمم في القرآن الكريم: دراسة تحليلية لمفهومها وسنن قيامها وسقوطها

فاطمة مصطفى سعد اعبادي *
الدراسات الإسلامية، كلية الآداب واللغات، جامعة طرابلس، ليبيا

* Corresponding author E-mail: fatima.abadi1110@gmail.com

Article history	Received: 01-11-2025	Accepted: 27-12-2025	Published: 15-01-2026

الملخص

يتناول هذا البحث مفهوم الأمم في القرآن الكريم بوصفه أحد المفاهيم القرآنية المهمة التي ترتبط بفهم طبيعة المجتمعات البشرية ومسارها الحضاري. ويهدف البحث إلى بيان دلالة مصطلح الأمة في القرآن الكريم من الناحية اللغوية والاصطلاحية، والكشف عن المعاني والسياقات المختلفة التي ورد فيها، إضافة إلى توضيح الألفاظ القريبة منه مثل القوم والشعوب والقرون. كما يسعى البحث إلى بيان أنواع الأمم التي أشار إليها القرآن الكريم، سواء من حيث الدعوة والاستجابة أو من حيث الأجناس المختلفة كأمة الإنس والجن وسائر المخلوقات. ويعرض البحث كذلك أهم العوامل التي تؤدي إلى نهضة الأمم وتمكينها، مثل الإيمان والعدل والوحدة، في مقابل العوامل التي تؤدي إلى ضعفها وسقوطها كالكفر والظلم والتفرق. واعتمد البحث على المنهج التحليلي الوصفي من خلال تتبع الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع الأمم وتحليل دلالاتها في ضوء كتب التفسير واللغة. وتبرز أهمية هذه الدراسة في إظهار الرؤية القرآنية الشاملة لمسار الأمم وسنن قيام الحضارات وسقوطها، بما يسهم في فهم أعمق للسنن الإلهية التي تحكم حركة المجتمعات البشرية عبر التاريخ.

الكلمات المفتاحية: الأمم في القرآن الكريم، مفهوم الأمة، السنن الإلهية، قيام وسقوط الحضارات، الفكر الإسلامي

Nations in the Holy Qur’an: An Analytical Study of Their Concept and the Divine Laws Governing Their Rise and Fall

Fatma Mustafa Saed Abadi *
Islamic Studies Department, Faculty of Arts and Languages, University of Tripoli, Libya

Abstract

This study examines the concept of nations (Ummah) in the Holy Qur’an as one of the fundamental Qur’anic concepts related to understanding the nature and development of human societies. The research aims to clarify the linguistic and terminological meanings of the term “Ummah” in the Qur’an and to analyze the various contexts in which it appears. It also highlights related terms used in the Qur’anic discourse, such as people, tribes, and generations. In addition, the study discusses the different types of nations mentioned in the Qur’an, whether in relation to the call to faith and response to it, or in terms of different creations such as humans, jinn, and other living beings. Furthermore, the research explores the main factors that contribute to the rise and empowerment of nations, including faith, justice, and unity, as well as the causes that lead to their decline and destruction, such as disbelief, injustice, and division. The study adopts a descriptive and analytical approach by examining relevant Qur’anic verses and analyzing their meanings with reference to classical interpretations and linguistic sources. The importance of this research lies in highlighting the comprehensive Qur’anic perspective on the development of nations and the divine laws governing the rise and fall of civilizations throughout history.

Keywords: Nations in the Qur’an, Ummah Concept, Divine Laws, Rise and Fall of Civilizations, Islamic Thought.

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل الكتاب نوراً وهدى، وجعل دراسة آياته سبيلاً إلى فهم السنن والقوانين التي تحكم الوجود البشري، والصلاة والسلام على رسوله سيّد المفسرين والمتدبرين، الذي بُعث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

يُعدّ مفهوم "الأمة" من المفاهيم القرآنية المركزية التي تشغل حيزاً واسعاً من النص الكريم، حيث يتجاوز مجرد الدلالة اللغوية ليحمل أبعاداً عقدية، تاريخية، واجتماعية عميقة.

فالقرآن الكريم لم يقتصر في خطابه على الفرد فحسب، بل اتسع ليشمل الجماعات البشرية التي تتكون منها الحضارات، مبيناً تاريخها، وعوامل نشأتها وارتقائها، وسنن هلاكها واندثارها.

وفي ظل التحديات المعاصرة التي تواجه الأمة الإسلامية وتنازعها الأيديولوجيات والرؤى، تبرز الحاجة الماسة إلى دراسة مفهوم "الأمم" في القرآن الكريم دراسة موضوعية شاملة.

كما أن الغوص في هذا المفهوم ليس مجرد بحث نظري، بل هو محاولة لاستخلاص السنن الإلهية الثابتة التي تحكم صعود وهبوط الحضارات، والبحث عن الخصائص التي ميّزت الأمة الوسط، والعوامل التي جعلتها شاهدة على الناس، ولتعود الأمة لمكانها الصحيح، موضع القيادة والريادة كما أراد الله تعالى لها.

والله الموفق والهادي إلى الصراط المستقيم.

أولاً: الإشكالية:

من المصطلحات التي وردت في القرآن الكريم بوفرة ، فما مدلوله، وكيف رسم لنا القرآن الكريم خارطة الطريق لمصير الأمم، وماهي السنن الإلهية التي تحكم علاقة الجماعات البشرية والدول بالتمكين والهلاك ؟

ثانياً: فرضية البحث: القرآن الكريم تحدّث عن الأمم المختلفة ، حيث أنها تحكمها سنن إلهية ثابتة، وهذه السنن تجعل التمكين والنهوض مرهوناً بالإلتزام بركائز أخلاقية وسلوكية كالإيمان والعدل والوحدة، بينما يكون الهلاك والسقوط نتيجة حتمية إذا ما تمّ الإنحراف عن تلكم الركائز.

ثالثاً: أسباب اختيار الموضوع:

1 _ حاجة هذا الموضوع إلى مزيد من البحث والدراسة والتذكير، لا سيما وأنّ مفهوم الأمةّ غاب عن الكثير من الناس.

2 _ كثرة التساؤلات المطروحة حول أسباب التمكين للأمة ونهضتها، وفي المقابل أسباب انتكاسة الأمة وتخلفها.

3 _ لبيان ما يتصف به القرآن الكريم من مرونة وصلاحية لكلّ زمان ومكان.

رابعاً: أهمية البحث:

القرآن الكريم ليس فقط مصدر توجيه فيما يتعلق بالعبادات والعقائد، بل هو أيضاً كتاب هداية حضارية وسياسية رشيدة، وهو يقدّم لنا نموذجاً متكاملاً لفهم صراع البقاء والتمكين للأمم، وهو يرسم لنا النموذج الأسمى للسير خلفه ، وفي المقابل يبيّن النموذج السّيء للأمم حتى لا يكون مصيرنا مصيرهم.

خامساً : منهجية البحث:

_ كتابة الآيات بالشّكل بين الرمزين : ﴿ ... ﴾ واسم السورة ثم رقم الآية بين القوسين: (...)

وهذا تمييزًا لكلام المولى عزّ وجلّ عن كلام باقي البشر.

_ وضعنا الأحاديث النبوية على قائلها الصلاة والسلام بين المزدوجتين التاليتين: {...} ، تمييزاً لكلام سيد الخلق صلى الله عليه وعلى آله وسلم، عن كلام باقي الخلق، ويكون تخريجها أسفل الصفحة.

في حال نقل قول من غير الوحيين : نذكره بين : "..."

_ التهميش أسفل الصفحة من 1...

_ الإحالة على المصادر والمراجع تكون بذكر البيانات أسفل الصفحة .

_ عند استعمال نفس الكتاب في موضعين متتاليين دون الفصل بينهما بكتاب آخر، نهمّش بكتابة: المرجع السابق.

_ فيما يتعلق بالترجمة لم نترجم للأعلام المذكورين لكثرتهم، وذلك لكوننا مقيّدين في بحثنا بعدد محدّد من الصفحات لا يُتجاوز ولو ترجمنا الأعلام لتجاوزناه بكثير.

_ التزمنا حروفاً معيّنةً لإفادة بعض المعاني اختصارا لكثرة تكرارها عند ذكر المصادر والمراجع، كحرف: ج: للجزء، وص: للصفحة.

سادسا الدراسات السابقة:

أما الدراسات السابقة لهذا الموضوع فنذكر منها:

_ سنن الله في قيام وسقوط الحضارات الإنسانية في ضوء القرآن الكريم، للكاتبة ليلى بنت محمد بن سليمان العقيل، تركز هذه الدراسة على استخراج القوانين الكلية التي تحكم مصير الأمم (كسنَّة التغيير، سنَّة الاستبدال، وسنَّة الجزاء). وتُحلل الآيات التي تصف مصير الأمم السابقة لتأكيد أن هذه السنن مطلقة وليست خاصة بأمة دون أخرى.

_ استخلاف الإنسان في الأرض: نظرات في الأصول الإعتقادية للحضارة الإسلامية، للدكتور فاروق أحمد الدسوقي، حيث تتناول هذه الدراسة تحليل متعمق للآيات التي تربط بين العدل والإصلاح كقوة دافعة للنهوض، وبين التنازع والظلم كعامل حاسم في الهلاك. وهي تخدم المحور المتعلق بـ"التفرق والاختلاف" كأحد أسباب السقوط.

سابعاً: خطّة البحث:

المبحث الأوّل: مفهوم الأمم، والقرآن الكريم.

المطلب الأول: مفهوم الأمم، لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: تعريف القرآن الكريم.

المبحث الثاني: مصطلح الأمم والأمّة في القرآن الكريم، وألفاظ قريبة منها.

المطلب الأوّل: مصطلحي الأمم والأمّة في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: ألفاظ قريبة المعنى من الأمم.

المبحث الثالث: أنواع الأمم في القرآن الكريم.

المطلب الأوّل: أنواع الأمم باعتبار الدعوة والإجابة.

المطلب الثاني: أنواع الأمم باعتبار أجناسها.

المبحث الرابع: عوامل نهضة الأمم وتمكينها، وعوامل سقوط الأمم وهلاكها.

المطلب الأول: عوامل نهضة الأمم وتمكينها.

المطلب الثاني: عوامل سقوط الأمم وهلاكها.

المبحث الأوّل: مفهوم الأمم، والقرآن الكريم

معلوم أنّ الحكم عن الشيء فرع عن تصوّره وقبل أن نشرع في بحثنا لا بدّ لنا من معرفة معنى ألفاظه، حتى تفكّ الغوامض ويصل الباحث والقارئ إلى المقصد والمطلوب، لأن أيّ بناء علمي أو منهجي سليم لا يمكن أن يقوم إلا على أساس متين من وضوح المفاهيم ودقّة الألفاظ، وسنشرع بإذن الله في هذا المبحث ببيان مصطلحين وردا في موضوع بحثنا، وهما لفظ الأمم، والقرآن الكريم.

المطلب الأول: مفهوم الأمم، لغة واصطلاحا.

الفرع الأوّل معنى الأمم في اللغة

الأمم جمع أمة، وهي من الكلمات التي لها في اللغة عدّة معان منها:

1 _ الطريقةُ والدينُ، يقال :فلانٌ لا أُمَّةَ له، أي لا دينَ له ولا نِحْلَةَ له، ومنها قول الشاعر:

" وهل يستوي ذو أُمَّةٍ وكَفورُ ."

وقوله تعالى: ﴿ كُنتمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للناس ﴾. (110 سورة البقرة).

قال الأخفش: " يريد أَهْلِ أُمَّةٍ "، أي خيرَ أَهْلِ دينٍ، وأنشد للنابغة :

" حَلَفْتُ فلم أَترك لنفسكَ رِيبَةً ... وهل يَأْثَمَنْ ذو أُمَّةٍ وهو طائِعُ".

2 _ الحينُ من الزمن، ومنها قول الله تعالى: ﴿ وَادَّكَرَ بعد أُمَّةٍ ﴾ (45 سورة يوسف) وقوله تعالى: ﴿ولئن أَخَّرْنا عَنْهُمُ العَذابَ إلى أُمَّة مَعدودة ﴾ (08 سورة هود).[1]

3 _ القامَةُ، قَالَ الأَعْشَى: " وإنَّ مُعاوِيَةَ الأَكْرَمِينَ ... بِيضُ الوُجُوهِ طِوالُ الأُمَمْ".

أَي :طِوالُ القامات.

4 _ الوَجْه، ليقال إنه لَحَسَنُ أُمَّةِ الوَجْه، يَعْنُون :سُنَّتَه وصُورَتَه، وإِنَّهُ لَقَبِيحُ أُمَّةِ الوَجْه.

5 _ النَّشاطُ.

6 _ الطَّاعَة.

---

[1] ينظر: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت 393 ه)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة (1407ه)، ج5، ص 1864.

_ أبو سهل محمد بن علي بن محمد الهروي النحوي (ت 433ه)، إسفار الفصيح، تحقيق: أحمد بن سعيد بن محمد قُشاش، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (1420ه)، ج2، ص730.

7 _ العَالِم من الناس.
8 _ والأُمَّة مِنَ الرَّجُلِ: قَوْمُهُ وجَماعَتُه، قَالَ الأَخْفش :" هُوَ فِي اللَّفْظِ واحدٌ وَفِي الْمَعْنى جَمْعٌ".
9 _ الأُمَّة لِلَّهِ تعالىَ: خَلْقُه يُقالُ: مَا رأيتُ من أُمَّة اللَّهِ أَحْسَنَ مِنْهُ .[2]
10 _ الأمة : كلُّ جِنس مِنَ الْحَيَوَانِ غَيْرِ بَنِي آدَمَ أُمَّةٌ عَلَى حِدَة، والأُمَّةُ :الجِيلُ والجِنْسُ مِنْ كُلِّ حَيّ.، والأُمَّةُ الرَّجُلُ الجَامِعُ لِلخير.[3]
11 _ الأمة: كل جماعة في زمانها.[4]

الفرع الثاني معنى الأمم في الإصطلاح.

1 _ قال الراغب الأصفهاني: " والأمة كل جماعة يجمعهم أمر ما إما دين واحد، أو زمان واحد، أو مكان واحد سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيرًا أو اختيارًا، وجمعها أمم".[5]
2 _ وقال ابن عاشور :" والأمة اسم للجماعة الذين أمرهم واحد، مشتقة من الأم بفتح الهمزة وهو القصد، أي: يؤمون غاية واحدة، وَإِنَّمَا تَكُونُ الْجَمَاعَةُ أُمَّةً إِذَا اتَّفَقُوا فِي الْمَوْطِنِ أَوِ الدِّينِ أَوِ اللُّغَةِ أَوْ فِي جَمِيعِهَا".[6]
3 _كما عرفها الشيخ حسن حبنكة الميداني أنها: " مجموعة حيّة تجمعها صفات ، أو خصائص، أو روابط متميّزة".[7]

ملاحظة: من خلال ما سبق من تعريفات لمصطلح الأمة يظهر لنا أن كل واحد نظر بمنظور لمصطلح الأمة، وفي المقابل نجد أن الراغب الأصفهاني، مفهوم الأمة عنده اتسع ليشمل عالم البشر، وعالم الكائنات الحيةّ كلها كالحيوانات، وهذا المفهوم الشامل للأمة أكثر ملائمة لموضوع بحثنا.

ملاحظة: جاء لفظ الأمّة في القرآن والمراد بها أربعة أمور: [8]

الأول :العصبة والجماعة من أيّ جنس، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (38 سورة الأنعام).

الثاني :الملة: ومنها قوله تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً.. ﴾ (213 سورة البقرة).

الثالث :المدة من الزمن: ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن أَخَّرْنَا عَنْهُمُ العَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ... ﴾ (08 سورة هود)، يعني سنين معدودة.

الرابع :الإمام في الخير: ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ المُشْرِكِينَ ﴾ (120 سورة النحل)، يعني إمامًا يقتدى به في الخير.

المطلب الثاني تعريف القرآن الكريم:

الفرع الأوّل معنى القرآن الكريم في اللغة: اختلف العلماء في لفظ القرآن ، بعضهم يقول إنه مهموز وعلى هذا الرأي الزجاج واللحياني ، والآخر يقول إنه ليس بمهموز ، كما سيأتي.

يقول الزجاج: "إن لفظ القرآن مهموز على وزن فعلان ،مشتق من القرء بمعنى الجمع ، ومنه قرأ الماء في الحوض إذا جمعه ، ويقال القرآن بمعنى الجمع لأنه يجمع ثمرات الكتب السابقة. "[9]

ويقول اللحياني: " إنه مصدر مهموز على وزن غفران ، مشتق من قرأ بمعنى تلا ، ومما يدل على أنه بمعنى تلا قول تعالى ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنْصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (204 سورة الأعراف)

وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (98 سورة النحل).

---

(2) محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: جماعة من المختصين، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، ج31، ص 230.

(3) محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت 711ه)، لسان العرب، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة (1414ه)، ج12، ص 27.

(4) أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (ت 401ه)، الغريبين في القرآن والحديث، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، قدم له وراجعه: فتحي حجازي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، (1419ه)، ج1، ص106.

1 (5) أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (502ه) ، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى (1412ه)، ص 86.

_ أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ص 176.

(6)محمد الطاهر ابن عاشور (1393ه)، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد ، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: (1404ه)، ج2، ص300.

(7) حسن حبنكة الميداني، الأمة الربانية الواحدة، مؤسسة الريان، بيروت ، لبنان، الطبعة الثانية، (1996م)ص44.

(8) أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت: 150هـ)، تحقيق: حاتم بن صالح الضامن، الناشر: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، (1426ه)، ص 47.

(9) إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت 311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة: الأولى، تاريخ النشر: 1408هـ، ج1،ص 305.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : { اقرأ القرآن في كل شهر ، قال إني أطيق أكثر فما زال حتى قال : في ثلاث }[10]، انتهى كلامه."[11]

ومن الذين يقولون إ ن القرآن ليس بمهموز الإمام الشافعي الذي يقول: "هو اسم عالم غير مشتق من أي شيئ ، يختص بكلام الله وهو ليس بمهموز" .

وإلى هذا ذهب الأشعري: حيث قال أنه: "مشتق من قرن الشيئ إذا ضم أحده إلى الآخر وسمي به إذ ضم فيه السور والآيات والأحرف . "[12]

وكان العرب في العصر الجاهلي عرفوا لفظ قرأ، لكنهم استخدمونه على غير معنى التلاوة بل بمعنى الحمل كما قال العرب" الناقة لم تقرأ أي لم تحمل". [13]

الفرع الثاني معنى القرآن الكريم في الإصطلاح.

هو كلام رب العالمين نزل به الروح الأمين على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد لهداية الناس أجمعين.[14]

وقال محمد علي الصابوني: "إن القرآن هو كلام الله المعجز على خاتم الأنبياء والمرسلين بواسطة الأمين جبريل عليه الصلاة والسلام المكتوب في المصاحف المنقول إلينا بالتواتر المتعبد بتلاوته المبدوء بسورة الفاتحة والمختتم بسورة الناس". [15]

ويذكر العلماء تعريفًا له يُقَرّبُ معناه ويميزه عن غيره، فيُعَرّفُونَهُ بأنه" :كلام الله، المنزل على محمد -صلى الله عليه وسلم- المتعبد بتلاوته ." " الكلام "جنس في التعريف، يشمل كل كلام، وإضافته إلى" الله "يُخْرِجُ كلام غيره من الإنس والجن والملائكة.

و"المنزَّل "يُخْرج كلام الله الذي استأثر به سبحانه: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾. (104 سورة الكهف).

وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ.. ﴾. (26 سورة لقمان).

وتقييد المنزَّل بكونه" على محمد, صلى الله عليه وسلم "يُخرج ما أُنْزِلَ على الأنبياء قبله كالتوراة والإنجيل وغيرهما.

و"المتعبد بتلاوته "يُخرج قراءات الآحاد، والأحاديث القدسية -إن قلنا إنها منزَّلة من عند الله بألفاظها- لأن التعبد بتلاوته معناه الأمر بقراءته في الصلاة وغيرها على وجه العبادة، وليست قراءة الآحاد والأحاديث القدسية كذلك.[16]

المبحث الثاني: مصطلحي الأمم والأمّة في القرآن الكريم، وألفاظ قريبة منها.

تمثّل معرفة معنى الألفاظ القرآنية مفاتيح أساسية لفهم مراد الله تعالى من كلامه، ومن أبرز الألفاظ التي تشغل حيّزاً مهمّاً في بناء الفكر الإسلامي حول الجماعة والتاريخ والنهضة مصطلح "الأمم" و "الأمّة"، إلى جانب ألفاظ أخرى وردت في القرآن الكريم تشاركها الدّلالة في سياق التجمّع البشري مثل "القوم" و "الشعوب" ونحوها، وهذا ما نبيّنه خلال صفحات هذا المبحث.

المطلب الأوّل: مصطلحي الأمم والأمّة في القرآن الكريم.

الفرع الأوّل مصطلح الأمم في القرآن الكريم: وردت كلمة الأمم في القرآن الكريم بصيغة الجمع (13 مرة)، في تسع سور من القرآن الكريم، ثلاث مرات في سورة الأعراف، ومرتان في كل من: سورة الأنعام، وسورة هود، ومرة واحدة في كل من سورة الرعد، وسورة النحل، وسورة العنكبوت، وسورة فاطر، وسورة فصّلت، وسورة الأحقاف، والآيات هي:

1 _ ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (38 سورة الأنعام).

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء المعرضين عنك، المكذبين بآيات الله: أيها القوم، لا تحسبُنَّ الله غافلا عما تعملون، أو أنه غير مجازيكم على ما تكسبون! وكيف يغفل عن أعمالكم، أو يترك مجازاتكم عليها، وهو غير غافل عن عمل شيء دبَّ على الأرض صغيرٍ أو كبيرٍ[17].

فالمقصود من لفظ الأمم هنا كلّ دابة تدبّ على وجه الأرض.

---

[10] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256هـ)، الجامع المسند الصحيح، تحقيق: جماعة من العلماء الطبعة السلطانية ، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني ثم صوّرها بعنايته: د. محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى (1422هـ) هـ لدى دار طوق النجاة - بيروت، ج 3 ص40، رقم الحديث: 1978.

[11] عدنان محمد زرزور، مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه ، الناشر: دار القلم / دار الشاميه - دمشق / بيروت، الطبعة الثانية، (1419هـ)، ص45.

[12] عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت911هـ) ، الإتقان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، (1394هـ)، ج1، ص182.

[13] صبحي الصالح ، مباحث في علوم القرآن ، الناشر: دار الكتب الإسلامية ، بيروت، ج 1 ، ص 144.

[14] محمد إسماعيل إبراهيم، القرآن وإعجازه العلم ، الناشر: دار الفكر العربي، بيروت، ص.2

[15] محمد علي الصابوني ، التبيان في علوم القرآن ،الناشر: دار الكتب، بيروت، ص.8

[16] مناع بن خليل القطان (1420هـ)، مباحث في علوم القرآن، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة (1421هـ)، ص17.

[17] أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار التربية والتراث - مكة المكرمة - ص.ب: ٧٧٨٠، الطبعة: بدون تاريخ نشر، ج11، ص344.

_﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ (42سورة الأنعام)

في هذه الآيات تصوير وعرض لنموذج متكرر في أمم شتى ، "يقول تعالى ذكره متوعدا لهؤلاء العادلين به الأصنام، ومحذرهم أن يسلك بهم إن هم تمادوا في ضلالهم سبيل من سلك سبيلهم من الأمم قبلهم في تعجيل الله عقوبته لهم في الدنيا، ومخبرا نبيه عن سنته في الذين خلوا قبلهم من الأمم على منهاجهم في تكذيب الرسل".[18]

إذاً المقصود من الأمم في هذه الآية الكريمة الأقوام السابقون الذين بعث فيهم الأنبياء والرسل، على غرار قوم عاد، وقم لوط، وأصحاب مدين، وثمود وغيرهم من السابقين.

_﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ... ﴾ (38 سورة الأعراف).

قال الإمام البغوي: " يَقُولُ اللَّهُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ، أَيْ :مَعَ جَمَاعَاتٍ، قَدْ خَلَتْ، مَضَتْ، مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّار، يَعْنِي :كُفَّارَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ".[19]

_﴿ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ ... ﴾ (160سورة الأعراف)

الْمَعْنَى قَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ فِرْقَةً، وَجَعَلْنَاهُمْ أَسْبَاطًا لِيَكُونَ أَمْرُ كُلِّ سِبْطٍ مَعْرُوفًا مِنْ جِهَةِ رَئِيسِهِمْ، فَيَخِفُّ الْأَمْرُ عَلَى مُوسَى.[20]

_﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ...﴾ (168 الأعراف).

يذكر تعالى أنه فرّقهم في الأرض أممًا أي طوائف وفرقًا، فيهم الصالح و فيهم غير ذلك.[21]

_﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (48 سورة هود).

دخل في هذا السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة وكذلك في العذاب والمتاع كل كافر وكافرة إلى يوم القيامة.[22]

_﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ (30 سورة الرعد).

كَمَا أَرْسَلْنَا الْأَنْبِيَاءَ إِلَى الْأُقوام قبلك أرسلناك إلى هذه الأمة، وقَدْ خَلَتْ، مَضَتْ، مِنْ قَبْلِها أُمَمٌ لِتَتْلُوَا، لِتَقْرَأَ، عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمنِ.[23]

_﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ...﴾ (63 سورة النحل).

يقول ابن عاشور: " وهي الْأُمَمِ الضَّالَّةِ مِنْ قَبْلِ الَّذِينَ اسْتَهْوَاهُمُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْأُمَمِ الْبَائِدَةِ مِثْلُ عَادٍ وَثَمُودَ، وَالْحَاضِرَةِ كَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى".[24]

_﴿ وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ (18 سورة العنكبوت).

"يقول تعالى ذكره: وإن تكذِّبوا أيها الناس رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم فيما دعاكم إليه من عبادة ربكم الذي خلقكم ورزقكم، والبراءة من الأوثان، فقد كَذَّبت جماعات من قبلكم رسلَها فيما دعتهم إليه الرسل من الحقّ، فحلّ بها من الله سخطه، ونزل بها من عاجل عقوبته، فسبيلكم سبيلها فيما هو نازل بكم بتكذيبكم إياه ".[25]

_ ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ (42 سورة فاطر).

يَعْنِي مِمَّنْ كَذَّبَ الرُّسُلَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ. وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ رَسُولٌ كَمَا كَانَتِ الرُّسُلُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا تَمَنَّوْهُ وَهُوَ النَّذِيرُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، نَفَرُوا عَنْهُ وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ.[26]

_ ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴾ (25 سورة فصلت).

في أمم قد مضت قبلهم من ضربائهم، حق عليهم من عذابنا مثل الذي حَقّ على هؤلاء بعضهم من الجن وبعضهم من الإنس.[27]

_ ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴾ (18 سورة الأحقاف).

---

[18] المرجع السابق، نفس الجزء، ص 354.

[19] أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي (ت 510ه)، معالم التنزيل في تفسير القرآن ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ ، ج2، ص191.

[20] أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ج7، ص 303.

[21] *عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي* المعروف بابن كثير (المتوفى 774 هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: حكمت بن بشير بن ياسين، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع – السعودية، الطبعة: الأولى، (1431ه)، ج4، ص109.

[22] المرجع السابق، ج4، ص454.

[23] البغوي، ج3، ص22.

[24] محمد الطاهر بن عاشور، ج14، ص193.

[25] الطبري، ج20، ص20.

[26] القرطبي، ج14، ص358.

[27] الطبري،ج21، ص459.

الذين وجب عليهم عذاب الله، وحلّت بهم عقوبته وسخطه، فيمن حلّ به عذاب الله على مثل الذي حلّ بهؤلاء من الأمم الذين مضوا قبلهم من الجنّ والإنس، الذين كذّبوا رسل الله، وعتوا عن أمر ربهم.[28]

ملاحظة : يمكن أن نقول أن معاني الأمم في هذه الآيات الكريمة دارت حول معنين رئيسيين:

_الأوّل أنواع الدوابّ التي خلق الله تعالى ، فشملت الإنس والجنّ، والحيتان، والطيور، والهوامّ، وسائر الحيوانات.

_ الثاني طائفة من الناس اشتركت في رابط ما، سواء كان زمانا، أو مكاناً، أو ديناً، أو نبيّاً من الأنبياء، أو موقفا مشتركا، أو مصيراً متحدا

الفرع الثاني مصطلح الأمة في القرآن الكريم: ورد مصطلح مفرد الأمم في القرآن الكريم بصيغة أمة واحد وخمسون مرّة، سبع مرات في سورة النحل، وخمس مرات في كلٍّ من سورة: البقرة، وسورة الأعراف، وأربع مرات في سورة المومنون، وثلاث مرات في كلّ من سورة آل عمران، وسورة يونس، وسورة الزخرف، ومرتان في كلّ من المائدة وسورة هود وسورة الأنبياء وسورة الحج وسورة القصص وسورة الجاثية ومرة واحدة في كلّ من : سورة النساء وسورة الأنعام وسورة يوسف وسورة الرعد وسورة الحجر وسورة النمل وسورة غافر وسورة الشورى.

ومن هذه الآيات على سبيل الذّكر:

_ قول الله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (128 سورة البقرة).

_ ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (110سورة آل عمران).

_﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (181سورة الأعراف).

_ ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾ (45 سورة يوسف).

_ ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ (30 سورة الرعد).

ملاحظة : يمكن تمييز ستة معان لكلمة أمة في مختلف آيات القرآن :[29]

أولاً: تعني كلمة أمة الوقت والحين، كما في الآيتين التاليتين: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ (8 سورة هود).

ثانيا: تعني كلمة أمة: الإمام الذي يعلم الخير ويهدي إلى الطريق الصحيح، كما في الآية التالية: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (120 سورة النحل).

ثالثا: تعني كلمة أمة الطريقة المتبعة، كما في الآية التالية: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ (21 سورة الزخرف).

رابعا: تعني كلمة أمة: جماعة من الناس على الإطلاق، كما في الآية: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ (22 القصص) وفي ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ (164 سورة الأعراف)، وهذا المعنى ينطبق على عدد كبير من الآيات التي وردت فيها لفظ الأمة .

خامسا: تعني كلمة أمة: الجماعة المتفقة على دين واحد. والآيات التي تثبت ذلك كثيرة ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَهمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾(6سورة الشورى).، ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾(32 سورة الأعراف).، ﴿ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ (109 سورة الأنعام).، ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم﴾ (32 سورة الحج). ويعتقد الطبري أن هذا هو المعنى الأصلي لكلمة أمة، مع أنه يقبل تفسير الأمة في بعض المواضع كمرادف للجماعة من الناس أو للصنف من الناس .

سادسا: تعني كلمة أمة: جماعة جزئية من أهل دين معين، كما في الآية التالية: ﴿وَلْتَكُن مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (104 سورة آل عمران).

المطلب الثاني: ألفاظ قريبة المعنى من الأمم.

الفرع الأول لفظ القوم: هم الْجَمَاعَةُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ جَمِيعًا.[30]

وتستخدم للدلالة على جماعة من الناس يجمعهم نبيّ معيّن أو مكان معيّن، مثل قوم نوح، قوم صالح، قوم هود وهكذا، وقد وردت في 378 موضعا من القرآن الكريم.

ومنها قول الله تعالى على لسان شعيب عليه السلام: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴾ (89 سورة هود).

---

[28] المرجع السابق،ج22، ص119.

[29] ينظر في:

_ ناصيف نصّار، مفهوم الأمة بين الدين والتاريخ، دراسة في مدلول الأمة في التراث العربي الإسلامي، دار الطباعة بيروت، (2006م)، ص02.

[30] ابن منظور، ج12، ص505.

الفرع الثاني لفظ الشعوب: جمع شعب، ويقصد به الجنس من الناس أو القبائل الكبيرة، والشَّعْبُ مَا تَشَعَّبَ مِنْ قَبائِل الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، وكلُّ جِيلٍ شَعْبٌ؛ قَالَ ذُو الرُّمَّةِ:

لَا أَحْسِبُ الدَّهْرَ يُبْلي جِدَّةً، أَبداً، ... وَلَا تَقَسَّمُ شَعْباً وَاحِدًا، شُعَبُ.

وقد ورد هذا المصطلح في القرآن الكريم مرّة واحدة، في قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ .... ﴾ (13سورة الحجرات).

الفرع الثالث لفظ القرى: جمع قرية، وهي الْمَسَاكِنِ والأَبنية والضِّياع وَقَدْ تُطْلَقُ عَلَى الْمُدُنِ.[31]

وقد وردت في القرآن الكريم بصيغة الجمع خمسة عشر مرّة، أربع في الأعراف، وثلاث مرات في هود، ومرتان في القصص، ومرة واحدة في كل من: الأنعام، ويوسف، والكهف، وسبأ، والأحقاف، والحشر.

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ...﴾ (102 سورة هود).

كما وردت بصيغة الإفراد ستّ وعشرون مرة، ثلاث مرات: في الأنبياء، ومرتان في كلّ من: الأعراف، والإسراء، والحج، ومرة واحدة في البقرة، والنساء، والأنعام، ويونس، ويوسف، والحجر، والنحل، والكهف، والفرقان، والشعراء، والنمل، والقصص، والعنكبوت، وسبأ، والزخرف، ومحمد، ويس، والطلاق،

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ...﴾ (123سورة الأنعام).

الفرع الربع لفظ القرون: جمع قرن، القَرْنَ أَهل كُلِّ مُدَّةٍ كَانَ فِيهَا نَبِيٌّ أَو كَانَ فِيهَا طَبَقَةٌ مِنْ أَهل الْعِلْمِ، قَلَّتْ السِّنُون أَو كَثُرَتْ، وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا قَوْلُ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :خَيْرُكم قَرْنِي، يَعْنِي أَصحابي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهم، يَعْنِي التابعين، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونهم.[32]، يَعْنِي الَّذِينَ أَخذوا عَنِ التَّابِعِينَ، قَالَ :وَجَائِزٌ أَن يَكُونَ القَرْنُ لِجُمْلَةِ الأُمة وَهَؤُلَاءِ قُرُون فِيهَا، وَإِنَّمَا اشْتِقَاقُ القَرْن مِنَ الاقْتِران، فتأويله أَن القَرْنَ الَّذِينَ كَانُوا مُقْتَرِنين فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَالَّذِينَ يأْتون مِنْ بَعْدِهِمْ ذَوُو اقْتِرانٍ آخَرَ .[33]

وقد وردت في القرآن الكريم بصيغة الجمع عشر مرات، مرتان في طه، والقصص، ومرة واحدة في كلّ من يونس، وهود، والإسراء، والسجدة، ويس، والأحقاف.

_ ومنها قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ ... ﴾ (17 سورة الإسراء).

كما وردت بصيغة الإفراد خمس مرات، مرتان في مريم، ومرة واحدة في كلّ من الأنعام، وص، وق.

_ ومنها قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ (06سورة الأنعام).

المبحث الثالث: أنواع الأمم في القرآن الكريم.

المطلب الأوّل: أنواع الأمم باعتبار الدعوة والإجابة.

الفرع الأوّل أمة الدعوة : ويقصد بها مشروع دعوة النبي صلى الله عليه وسلم حيث أن بعثته عليه الصلاة والسلام كانت للإنس والجنّ، فالثقلان جميعاً مكلفون برسالته بعد بعثته إلى يوم القيامة، ومن هنا فالعالمون كلّهم أمته، سواء آمنوا به أم لم يؤمنوا.[34]

وقد بيّن ذلك القرآن الكريم في مواضع كثيرة منها قول الله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (158 سورة الأعراف).

وقوله تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾(27 سورة التكوير).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾(106 سورة الأنبياء).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: { و الذي نفْسُ محمدٍ بيدِهِ ، لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمةِ، لا يهوديٌّ ، و لا نصرانِيٌّ ، ثُمَّ يموتُ ولم يؤمِنْ بالذي أُرْسِلْتُ به ، إلَّا كان من أصحابِ النارِ }.[35]

الفرع الثاني أمة الإستجابة: من استجاب لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم من الإنس والجن عموماً فآمنوا وأسلموا هم أمة الاستجابة، وقد وردت في فضل أمة الاستجابة نصوص في الكتاب كقوله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (110 سورة آل عمران).[36]

---

[31] ابن منظور، ج15، ص177.

[32] البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب من لا يفي بالنذر، ج6، ص 2463، رقم الحديث: 6317.

[33] ابن منظور، ج13، ص334.

[34] سعيد حوّى (ت 1409ه) ، الأساس في السنة وفقهها - السيرة النبوية، الناشر: دار السلام، القاهرة – مصر، الطبعة: الثالثة، ج3، ص1223.

[35]مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملّته، ج1، ص 93، رقم الحديث:153.

[36] سعيد حوى، ج3، ص 1223.

وأمة الإستجابة هي المقصودة بقوله صلى الله عليه وسلم كما جاء عن معاوية بن حَيْدة أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: في قوله تعالى :﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (110 سورة آل عمران)، {قال: إنكم تُتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمُها على الله}.[37]

وعن ابن عمر رضي الله عنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:{ مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أُجَرَاءَ، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ غُدْوَةَ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتْ النَّصَارَى، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنَ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ عَلَى قِيرَاطَيْنِ؟ فَأَنْتُمْ هُمْ، فَغَضِبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، فَقَالُوا: مَا لَنَا، أَكْثَرَ عَمَلًا وَأَقَلَّ عَطَاءً؟ قَالَ: هَلْ نَقَصْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ }.[38]

المطلب الثاني: أنواع الأمم باعتبار أجناسها.

من الآيات الله تعالى ما خلق سبحانه وتعالى من خلق وما بثّ في السماوات والأرض من داب وكائنات، ففي السماء ملائكته لا يحصيهم إلا الله تعالى ما من موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك قائم لله تعالى أو راكع أو ساجد، يطوف منهم كل يوم بالبيت المعمور في السماء السابعة سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى يوم القيامة، وفي الأرض من أجناس الدواب وأنواعها ما لا يحصى أجناسه فضلا عن أنواعه وأفراده، هذه الدواب مختلفة الأجناس والأشكال والأحوال، فمنها النافع للعباد الذي به يعرفون كمال نعمة الله عليهم، ومنها الضار الذي يعرف الإنسان به قدر نفسه وضعفه أمام خلق الله، وهذه الدواب المنتشرة في البراري والبحار تسبح بحمد الله وتقدس له وتشهد بتوحيده وربوبيته ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (44 سورة الإسراء)، وكل هذه الدواب رزقها على خالقها وبارئها ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾(6 سورة هود).[39]

ويقول البغوي: " قَالَ مُجَاهِدٌ: أَصْنَافٌ مُصَنَّفَةٌ تُعْرَفُ بِأَسْمَائِهَا يُرِيدُ أَنَّ كُلَّ جِنْسٍ مِنَ الْحَيَوَانِ أُمَّةٌ، فَالطَّيْرُ أُمَّةٌ، وَالدَّوَابُّ أُمَّةٌ، وَالسِّبَاعُ أُمَّةٌ، تُعْرَفُ بِأَسْمَائِهَا مِثْلُ بَنِي آدَمَ، يُعَرَفُونَ بِأَسْمَائِهِمْ، يُقَالُ :الْإِنْسُ وَالنَّاسُ، وَقِيلَ :أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ يَفْقَهُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ، وَقِيلَ :أَمَمٌ أَمْثَالُكُمْ فِي الْخَلْقِ وَالْمَوْتِ وَالْبَعْثِ، وَقَالَ عَطَاءٌ :أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ فِي التَّوْحِيدِ وَالْمَعْرِفَةِ، قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ :أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ فِي الْغِذَاءِ وَابْتِغَاءِ الرِّزْقِ وَتَوَقِّي الْمَهَالِكِ".[40]

ونذكر من هذه الأمم العظمى ما أشار إليه القرآن الكريم في هذه الفروع:

_ **الفرع الأول أمة الإنس:** وهم بني آدم، وقد جاء كثيرا خطاب القرآن الكريم لأمة الإنس بالذات، في كصير من الآيات ومنها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (20 سورة البقرة).

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾(15 سورة فاطر).

وقوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (35 سورة الأعراف).

_ **الفرع الثاني أمة الجنّ:** وهي أمة مخلوقة من نار كما وصفهم القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَالجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴾ (27 سورة الحجر).

وقد جاء خطاب القرآن كثيرا لأمة الجنّ من لك قوله تعالى: ﴿*يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ* وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلا بِسُلْطَانٍ. ﴾(31 سورة الرحمن).

ومنها قوله سبحانه: ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ (130 سورة الأنعام).

وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (13 سورة السجدة).

_ **الفرع الثالث أمة الحيوانات:** ذكر القرآن الكريم عدداً من أمة الحيوانات والطيور والحشرات في سياقات مختلفة، سواء كان ذلك لبيان قدرة الخالق، أو لضرب الأمثال والعبر، أو لبيان أحكام شرعية، ويمكن تقسيم الحيوانات المذكورة في القرآن الكريم إلى مجموعات رئيسية:

_ **أوّلا الأنعام والثدييات الكبيرة:** من ذلك ذكرت البقر، والغنم، والإبل، والضأن، والخيل، والبغال، والحمير، والخنزير، والفيل، والذئب، والقردة، والكلب.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. ﴾ (143 سورة الأنعام).

وقوله تعالى: ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (8 سورة النحل).

وقوله تعالى: ﴿*أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ* . ﴾(1 سورة الفيل).

_ **ثانيا الطيور:** من ذلك ذكر الطير بصفة عامة، والغراب، والهدهد، والسلوى.

---

[37] أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، الجامع الكبير، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، (1430ه)، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ج5، ص 253، رقم الحديث: 3247.

[38] البخاري، كتاب الإجارة، باب الإجارة على نصف النهار، ج2، ص 791، رقم الحديث: 2148.

[39] محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١ هـ، مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر: دار الوطن - دار الثريا، الطبعة: الأولى (1407ه)، ج6، ص190.

[40] البغوي، ج3، ص142.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ (31 سورة المائدة).

وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (79 سورة النحل).

وقوله تعالى: ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ (20 سورة النمل).

_ ثالثاً الحشرات والزواحف والحيتان: من ذلك ذكر النحل، والنمل، والذباب، والبعوض، والعنكبوت، والجراد، والقمّل، والضفادع، والحية، والثعبان، والحوت.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ (68 سورة النحل).

وقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (سورة النمل18).

وقوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ (48سورة القلم).

المبحث الرابع: عوامل نهضة الأمم وتمكينها، وعوامل سقوط الأمم وهلاكها.

تعتبر دراسة تاريخ الأمم والحضارات ومصيرها نافذة مضيئة على سنن الله تعالى في الكون، كما يعدّ القرآن الكريم مرجعاً هامّاً يجيب عن كبرى التساؤلات التي قد تطرح عن مصير الأمم السابقة واللاحقة وعوامل نهضتها والتمكين لها، وفي المقابل عوامل سقوطها وهلاكها، وهذا ما نُعرّج عليه خلال هذه الصفحات من بحثنا.

المطلب الأول: عوامل نهضة الأمم وتمكينها.

الفرع الأوّل تحقيق الإيمان والعمل الصالح: يشكّل الإيمان والعمل الصالح الأساس الذي تقوم عليه قوّة الأمّة وعزتها واستخلافها وأمنها من سخط الله وعذابه، وهما شرطان متلازمان للنصر والتمكين والحفظ في الدنيا والآخرة، وفي هذا يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (55سورة النور).

أي ليورثنهم الله أرض المشركين من العرب والعجم، فيجعلهم ملوكها وساستها (كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) يقول: كما فعل منْ قبلهم ذلك ببني إسرائيل، إذ أهلك الجبابرة بالشأم، وجعلهم ملوكها وسكانها ... وليغيرنّ حالهم عما هي عليه من الخوف إلى الأمن.[41]

ويقول أيضا: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (47سورة الروم).

قال ابن تيمية:" سُنة الله وعادته في نصر عباده المؤمنين إذا قاموا بالواجب على الكافرين، وانتقامه وعقوبته للكافرين الذين بلغتهم الرسل بعذابٍ من عنده، أو بأيدي المؤمنين، هي سُنة الله التي لا توجد منتقضة قط."[42]

فإذا حقق المؤمنون الإيمانَ والعمل الصالح في أي زمان ومكان، كانوا أهلاً للنصر على أعدائهم، وكانوا أهلا للتمكين لإقامة دين الله، وإحقاق الحقّ وإبطال الباطل، ونشر الخير والعدل في الأرض جمعاء.

الفرع الثاني إقامة العدل: يعتبر العدل العمود الفقري لنهضة الأمم والمحور الذي تدور عليه عزّة الشعوب، فما قامت حضارة على أساس متين إلا كان العدل إمامها، وما ضاعت الأمة إلا حينما غاب عنها ميزان الإنصاف، وقد جاء الأمر الإلهي صريحاً بالعدل في الكثير من آيات القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (90سورة النحل).

لقد جاء أن هذا القرآن تبيان لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين حسن التخلص إلى تبيان أصول الهدى في التشريع للدين الإسلامي العائدة إلى الأمر والنهي، إذ الشريعة كلها أمر ونهي، والتقوى منحصرة في الامتثال والاجتناب، فهذه الآية استئناف لبيان كون الكتاب تبيانا لكل شيء، فهي جامعة أصول التشريع .[43]

وقد بيّن لنا القرآن الكريم أن الهدف والمقصد من إنزال الكتب ومن إرسال الرسل هو إقامة العدل بين الناس، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ الحديد ﴾ (25 سورة الحديد).

يقول الطاهر بن عاشور: وَإِنْزَالُ الْمِيزَانِ :تَبْلِيغُ الْأَمْرِ بِالْعَدْلِ بَيْنَ النَّاسِ، وَالْمِيزَانُ: مسْتَعَارٌ لِلْعَدْلِ بَيْنَ النَّاسِ فِي إِعْطَاءِ حُقُوقِهِمْ، لِأَنَّ مِمَّا يَقْتَضِيهُ الْمِيزَانُ وُجُودَ طَرَفَيْنِ يُرَادُ مَعْرِفَةُ تَكَافُئِهِمَا.[44]

---

[41] الطبري، ج19، ص208.

[42] تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت 728هـ)، الردّ على المنطقيين، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص390.

[43] لطاهر بن عاشور، ج14، ص254.

[44] المصدر نفسه، ج27، ص416.

بل إن المتأمّل في القرآن يجد أنه أمرنا بالعدل والإنصاف حتى مع الأعداء والمخالفين، مما يدلّ على أن العدل قيمة مطلقة وشرط إلهي لتقوية الأمة، يقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (135سورة النساء).

قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه: يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله محمد، ليكن من أخلاقكم وصفاتكم القيامُ لله شهداء بالعدل في أوليائكم وأعدائكم، ولا تجوروا في أحكامكم وأفعالكم فتجاوزوا ما حددت لكم في أعدائكم لعدواتهم لكم، ولا تقصِّروا فيما حددت لكم من أحكامي وحدودي في أوليائكم لولايتهم لكم، ولكن انتهوا في جميعهم إلى حدِّي، واعملوا فيه بأمري.[45]

الفرع الثالث وحدة الأمة وتماسكها: تعدّ وحدة الأمة من أهمّ عوامل نهضتها وتمكينها، حيث يربط القرآن الكريم بشكل مباشر بين الوحدة والقوّة، وبين التنازع والفشل والهزيمة، من ذلك قول الله تعالى: ﴿ إِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ (4 سورة الصفّ).

الفرع الثالث إعداد القوّة والتسلّح بالعلم والعمل: معلوم أن مصطلح القوّة التي أمر المؤمنون بإعدادها جاء لفظها في القرآن الكريم عامّاً ومطلقاً، لتشمل قوّة الإيمان، وقوّة العلم، وقوّة المجتمع المتّحد، وقوّة العتاد العسكري، ولتشمل الجانب السياسي، والجانب الإقتصادي وغيره من الجوانب قيام الحضارة، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ (61 سورة الأنفال).

فالاستعداد بما في الطوق فريضة تصاحب فريضة الجهاد ؛ والنص يأمر بإعداد القوة على اختلاف صنوفها وألوانها وأسبابها ؛ ويخص (رباط الخيل)لأنه الأداة التي كانت بارزة عند من كان يخاطبهم بهذا القرآن أول مرة . . ولو أمرهم بإعداد أسباب لا يعرفونها في ذلك الحين مما سيجد مع الزمن لخاطبهم بمجهولات محيرة - تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا - والمهم هو عموم التوجيه.[46]

كما أنّ التسلّح بالعلم والمعرفة ركيزة النهضة ومفتاح التفوق الحضاري، وقد أولاه القرآن الكريم الأهمية القصوى، فأوّل آية نزلت في القرآن الكريم كانت أمراً بالعلم والقراءة والكتابة، قال سبحانه وتعالى:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (1 سورة العلق).

ثم إن القرآن الكريم ربط الرفعة والدرجات بالعلم والإيمان، مما يدلّ على أنّ العلم أساس التمكين للأمّة، فقال سبحانه: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ (11 سورة المجادلة).

كما أنّ العمل أساس النهضة والتمكين، لذا نجد أن القرآن الكريم كثيرا ما يدعو إلى لعمل والسعي، وعمارة الأرض، من ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (61 سورة هود)

وقوله سبحانه: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (105 سورة التوبة).

المطلب الثاني: عوامل سقوط الأمم وهلاكها.

الفرع الأوّل الظلم: الظلمُ من أعظم أسباب العذاب العام، فبسببه هلَكَت الأممُ السالِفة والقرونُ الخالية، وبسببه تسقُط الدولُ، وتخرب البيوت والعمران، وتهلَك القُرى والبلدان، والظلم هنا بمعناه العام الذي يشمل ظلم الله تعالى بالكفر والإشراك، وظلم رسله بتكذيبهم وإذايتهم، وظلم خلق الله بالتعدّي على حقوقهم، وظلم النّفس بإهمال تزكيتها وتقويم سلوكها، وقد جاء ذلك صريحا في الكثير من الآيات القرآنية، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ (59 سورة الكهف 18).

أي : انظروا إلى الأمم السالفة والقرون الخالية أهلكناهم بسبب ظلمهم وكفرهم وعنادهم، وجعلنا لهلاكهم وقتاً معلوماً، وكذلك أنتم أيها المشركون ، احذروا أن يصيبكم ما أصابهم بظلمكم، فقد كذبتم أشرف رسول وأعظم نبي ، ولستم بأعز علينا منهم ، فخافوا عذابي ونذري .[47]

وقال سبحانه: ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ (11سورة الأنبياء).

وهذا مبينه النبي صلى الله عليه وسلم، فيما رواه أبو موسى الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {إن اللهَ ليُملِي للظالِمِ حتى إذا أخذَه لم يُفلِته، ثم قرأ: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (102سورة هود).}[48]

وعن أبي بكْرٍ الصِّدّيقِ، أنّهُ قال :" يا أيُّها النَّاسُ، إنَّكُمْ تَقرؤُونَ هذه الآية ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ (105سورة المائدة)، وإنِّي سَمِعتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يقولُ :{إنَّ النَّاسَ إذا رَأَوُا الظَّالِمَ، فلم يأْخُذُوا على يَدَيْهِ أوشكَ أن يعُمَّهم الله بعقابٍ}".[49]

---

[45] الطبري، ج10، ص 95.

[46] المرجع السابق، ج10، ص370.

[47] ابن كثير، ج5، ص156.

[48] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، صحيح البخاري، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، الطبعة الأولى ، (1422ه)، باب: قوله: ﴿وكذلك أخذ ربك إذ أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾ ، ج 6 ، ص74، رقم الحديث: 4409.

[49] أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، الجامع الكبير، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، (1430ه)، كتاب أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر، ج4، ص 242، رقم الحديث:2307.

الفرع الثاني الغفلة وكُفران النِّعم: {وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُون} (112 سورة النحل).

"ومثل الله مثلا لمكة التي سكنها أهل الشرك بالله هي القرية التي كانت آمنة مطمئنة، وكان أمنها أن العرب كانت تتعادى، ويقتل بعضها بعضا، ويَسْبي بعضها بعضا، وأهل مكة لا يغار عليهم، ولا يحارَبون في بلدهم، فذلك كان أمنها...، لا يحتاج أهلها إلى النَّجْع، كما كان سكان البوادي يحتاجون إليها (يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا) يقول: يأتي أهلها معايشهم واسعة كثيرة...من كلّ فجّ من فِجاج هذه القرية، ومن كلّ ناحية فيها فأذاق الله أهل هذه القرية لباس الجوع، وذلك جوع خالط أذاه أجسامهم، فجعل الله تعالى ذكره ذلك لمخالطته أجسامهم بمنزلة اللباس لها. وذلك أنهم سلط عليهم الجوع سنين متوالية بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى أكلوا العلهز والجِيَف".[50]

ملاحظة: من كُفران النِّعَم الإسرافُ والتبذيرُ، وإهانةُ الطعام، والطغيان، والتباهِي بما يجلِبُ سخطَ اللهِ ومقتَه، وقد بيّن ذلك القرآن الكريم في قوله سبحانه:

{وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا} (16سورة الإسراء).

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: " أمرنا مترفيها، سلطنا أشرارها فعصوا فيها وأسرفوا، فإذا فعلوا ذلك أهلكتهم بالعذاب".[51]

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: { إذا رأيتَ اللهَ يُعطِي العبدَ من الدنيا على معاصيه ما يُحِبُّ، فإنما هو استِدراجٌ، ثم تلا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: {فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُون } (44 سورة الأنعام).[52]

قال الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ فِي قَوْلِهِ: فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا مِنَ الدُّنْيَا وَرَكَنُوا إِلَيْهَا، وَاطْمَأَنُّوا بِهَا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ، وَقَالَ الْحَسَنُ: مُكِرَ بِالْقَوْمِ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ أعطوا حاجتهم ثم أخذوا.[53]

الفرع الثالث كثرة المعاصي وانتشار الفساد، وغياب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

من الأسباب التي تعجّل بانهيار الأمم وهلاكها كثرة المعاصي والجهر بها، وانتشار الفساد، وغياب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا ما بيّنه القرآن الكريم في قول الله تعالى: { فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } (40سورة العنكبوت).

فالظاهر من هذا أن سبب هلاك الأقوام عملهم بمعاصي الله وارتكابهم الذنوب والآثام.[54]

وفي المقابل أيضا غياب الفئة الناهية عن الفساد، وعزوف الخيرين عن الأمر بالمعروف والخير، والنهي عن المنكر والفساد، يقول الله تعالى: { فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ } (سورة هود116).

يقول الشعراوي في تفسير هذه الآية: لوا أن كان في الناس بقية من الخير، وبقية من الإيمان، وبقية من اليقين، وكانوا ينهون عن الفساد في الأرض، لولاهم لخسف الله الأرض بمن عليها... فالحقّ سبحانه وتعالى إنما يحفظ الحياة بهؤلاء الذين ينهون عن الفساد في الأرض، لأنهم يعملون على ضوء منهج الله، وهذا المنهج لا يزيد ملكاً لله، ولا يزيد صفة من صفات الكمال لله، لأنه سبحانه خلق الكون بكل صفات الكمال فيه، ومنهجه سبحانه إنما يصلح حركة الحياة، وحركة الأحياء، وهكذا يعود منهج السماء بالخير على مخلوقات الله، لا على الله الذي كوّن الكون بكماله.[55]

الفرع الرابع التفرّق والإختلاف: مما لا شكّ فيه أن التفرق والإختلاف المذموم يعدّ من أخطر الأسباب التي تؤدّي إلى سقوط الأمم وهلاكها، وهذا ما أكدته لنا سنّة الله تعالى في التاريخ البشري، ونصّ عليه القرآن الكريم بوضوح، ونهى أمة الخيرية عنه وحذّرها منه، يقول سبحانه: { وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ } (46 سورة الأنفال).

يقول ابن عاشور: وَأَمَّا النَّهْيُ عَنِ التَّنَازُعِ فَهُوَ يَقْتَضِي الْأَمْرَ بِتَحْصِيلِ أَسْبَابِ ذَلِكَ :بِالتَّفَاهُمِ وَالتَّشَاوُرِ، وَمُرَاجَعَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، حَتَّى يَصْدُرُوا عَنْ رَأْيٍ وَاحِدٍ.. وَالْمَعْنَى وَتَزُولُ قُوَّتُكُمْ وَنُفُوذُ أَمْرِكُمْ، وَذَلِكَ لِأَنَّ التَّنَازُعَ يُفْضِي إِلَى التَّفَرُّقِ، وَهُوَ يُوهِنُ أَمْرَ الْأُمَّةِ.[56]

كما أنه حذّر الأمّة من مصير الأمم الهالكة التي هلكت بعد مجيء الأدلّة الواضحة وعلى هذا فوجود الوحدة واجتماع الكلمة سبب للنصرة والتمكين والنهوض بالأمة على أساس متين، وفي المقابل التنازع والإختلاف يهوي بالأمة في قاع الأزمات والإقتتال والفشل والهزائم

---

[50] الطبري، ج14، ص 309-311.

[51] المصدر نفسه، ج17، ص404.

[52] الإمام أحمد بن حنبل ، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، مسند الشاميين حديث عقبة بن عامر الجهني عن النبي صلى الله عليه وسلم، ج28، ص547، رقم الحديث: 17311

[53] أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ج4، ص 1291.

[54] أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، تحقيق: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَّشْر، صَيدَا – بَيروت، ج10، ص 193.

[55] تفسير الشعراوي، ج11، ص 6741، وص 6742.

[56] الطاهر بن عاشور، ج10، ص32/30.

المتكرّرة، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله سبحانه: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (105 سورة آل عمران).
وهنا الخطاب موجّه للمؤمنين لا تتفرقوا، يا معشر المؤمنين، في دينكم تفرُّق هؤلاء في دينهم، ولا تفعلوا فعلهم، وتستنوا في دينكم بسنتهم، فيكون لكم من عذاب الله العظيم مثل الذي لهم.[57]

الخاتمة:

في ختام هذا البحث الذي تناول موضوع الأمم في القرآن الكريم وعوامل نهضتها وتمكينها، سنن سقوطها وهلاكها، يتجلّى لنا بوضوح أن مصير الجماعات البشرية ليس محض صدفة أو قضاءً مبرماً لا يُفهم، بل هو خاضع لنواميس إلهية ثابتة لا تحابي أحداً، ولا تتغير بتغير الزمان والمكان، وهذا ما أكّده لنا القرآن الكريم.
كما أن القرآن الكريم أراد لأمة الإسلام ، أمة الخير والعدل والسلام ، أن تأخذ بأسباب القيادة والريادة حتى تقود الأمم والعالم إلى الخير والعدل والسلام، وهذه هي وظيفة الأمة الإسلامية ، وهذا معنى من معاني الاستخلاف في الأرض.

قائمة المصادر والمراجع

أ: القرآن الكريم.

ب: كتب السنة:

الجامع المسند الصحيح، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء الطبعة السلطانية ، بالمطبعة الكبرى الأميرية، الطبعة الأولى (1422هـ) هـ لدى دار طوق النجاة – بيروت.
_ الجامع الكبير، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، (1430ه).
_ مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة.

ج: باقي الكتب:

_ أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت: 150هـ)، تحقيق: حاتم بن صالح الضامن، الناشر: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، (1426ه).
_ أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار التربية والتراث - مكة المكرمة - ص.ب: ٧٧٨٠، الطبعة: بدون تاريخ نشر.
_ إسفار الفصيح، أبو سهل محمد بن علي بن محمد الهروي النحوي (ت 433ه)، تحقيق: أحمد بن سعيد بن محمد قُشاش، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (1420ه).
_ الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
_ الأساس في السنة وفقهها، سعيد حوّى (ت 1409ه)، الناشر: دار السلام، القاهرة ، الطبعة: الثالثة.
_ الأمة الربانية الواحدة، حسن حبنكة الميداني، مؤسسة الريان، بيروت ، لبنان، الطبعة الثانية، (1996م).
_ التبيان في علوم القرآن ، محمد علي الصابوني ، الناشر: دار الكتب، بيروت.
_ الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية.
_ الردّ على المنطقيين، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت 728هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان.
_ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت.
_ الغريبين في القرآن والحديث، أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، (1419ه).
_ القرآن وإعجازه العلم ، محمد إسماعيل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي، بيروت.

[57] الطبري، ج7، ص 92.

_ المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (502ه)، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى .
_ أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ(، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.
_ تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تحقيق: جماعة من المختصين، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت.
_ تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر ابن عاشور (1393ه)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: (1404ه).
_ تفسير ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة.
_ تفسير القرآن العظيم، *عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير* (المتوفى 774 هـ)،تحقيق: حكمت بن بشير بن ياسين، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع – السعودية، الطبعة: الأولى، (1431ه).
_ فتح البيان في مقاصد القرآن، تحقيق: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت.
_ لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت 711ه)، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة (1414ه).
_ مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح ، الناشر: دار الكتب الإسلامية ، بيروت.
_ مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة.
_ مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١ هـ، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر: دار الوطن - دار الثريا، الطبعة: الأولى (1407ه).
_ مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه ، عدنان محمد زرزور، الناشر: دار القلم ، بيروت، الطبعة الثانية.
_ معالم التنزيل في تفسير القرآن ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي (ت 510ه)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة : الأولى ،1420ه.
_ معاني القرآن وإعرابه، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت 311هـ)، الناشر: عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة: الأولى، تاريخ النشر: 1408.
_ مفهوم الأمة بين الدين والتاريخ، دراسة في مدلول الأمة في التراث العربي الإسلامي، ناصيف نصّار، دار الطباعة بيروت، (2006م).